# الجذر التاريخي للهوية الوطنية العراقية

أ.م.د.زينب علي عبد الباحث: حسن عبيد عيسى
جامعة كربلاء/كلية العلوم الاسلامية

## (ملخص البحث)

تعرضت الهوية العراقية الى محاولات لتبديلها بهويات فرعية لا تسد مسدها..ورافق ذلك الادعاء بحداثة العراق وان بريطانيا صنعته قبل مائة سنة..تعقبنا في بحثنا تداول اسم العراق عقب الحقب التاريخية المختلفة مع الاشارة الى انه وطن بالحدود التي هو عليها الان منذ اكثر من اربعة آلاف سنة عندما وحّده سرجون الاكدي..

ومن خلال الفهم الواعي لفلسفة الهوية الوطنية،نجد ان المنظرين الغربيين حددوا عنصرين اساسيين لها وهما الارض واللغة..فكيف يمكن تطبيق ذلك على واقع الهوية الوطنية العراقي..هذا ما نهجناه في بحثنا الذي تناول هذين العنصرين ..

ولقد كانت الحضارات العراقية القديمة والمتعاقبة تحمل من الشواهد والادلة على ان وحدة وطنية تفرز هوية وطنية عراقية مائزة قائمة منذ الازمنة التي ازدهرت بها تلك الحضارات..ومن بين الامور التي انتقيناها في هذا السبيل ملحمة كلكامش وشريعة حمورابي..

فملحمة كلكامش التي هي سومرية المنشأ لم تكن حبيسة مدن سومر وانما كانت ملحمة عراقية وطنية ترقى الى مستوى النشيد الوطني..فإنك تجدها في جنوب العراق السومري وفي بابل الكلدانية وفي نينوى الاشورية ..

أما شريعة حمورابي فهي لم تكن من بنات افكار الملك البابلي الاموري ولا مستشاريه وانما هي حصيلة الفكر العراقي القانوني التراكمي على مدى آلاف السنين..فمصادرها قوانين من جنوب ووسط وشمال العراق ..مما يدل على انها منجز وطني عراقي وليس بابلي فحسب.

وتوصلنا الى ان سكان العراق منذ ذلك الوقت كانوا مجتمعا متجانسا يشكل ما نصطلح عليه الان بالشعب من خلال الشواهد والادلة التي تركها أولئك السكان أو الشهود الاجانب كهيرودوت وغيره.

خرجنا بمحصلة تقود الى بعض التوصيات التي نتمنى ان يتبناها المؤتمر الموقر خدمة للمصلحة الوطنية العليا التي تهدف الى ترسيخ فكرة المواطنة والاعتزاز بالهوية الوطنية التي لمسناها متجذرة في كل حقب تاريخ الوطن.

**المقدمة**

العراق هذه الفسحة من الارض التي حباها الله مالم يحب أرضين غيرها من موقع مائز ،وأرض خصبة ومياه غزيرة وتنوع طبوغرافي فريد،كانت ارضه وما تزال موضع اطماع لجيرانه ..تكمن مشكلة تلك الاطماع في انها مستمرة متصاعدة تروم التقليل من قيمته التاريخية، ولا تتوقف عند حد نكران تاريخه بل تعمد الى التزييف والتدليس والتحريف ومن ذلك الزعم بين آونة وأخرى ان العراق بلد حديث صنعته بريطانيا في مطلع عشرينيات القرن الماضي.

ولعل من بين ما حبى الله به هذه البلاد الكنز الاثاري الضخم الذي يحوي وثائق تثبت طبيعة كيانه وطبيعة مجتمعه ،فالمثبت في وزارة الداخلية من مواقع آثارية مطلوب حراستها بحدود ٣٠ ألف موقع على وفق ما أفاد به عدنان الاسدي من خلال موقعه السابق وكيلا أقدما لوزارة الداخلية[١].ان الخزين الثر للوثائق المتمثلة بالرقيمات والنقوش والآثار الاخرى التي تخدم مجالات البحث التاريخي هي المعول عليه في اثبات حقيقة الكيان العراقي عبر التاريخ.

فثمة أمور محددة سننتقيها من بين أمور كثر كفيلة بإثبات صحة ما نعمد الى مناقشته، ما ينتج عنه رفع مستوى الروح الوطنية عند النشئ الجديد ويرتقي بالاعتزاز بالهوية الوطنية التي اريد لها مؤخرا ان تتراجع لصالح الهويات الاثنية والطائفية في المسعى الذي يريد تقزيم الدور الحضاري للعراق تمهيدا لتفتيته لاسمح الله تعالى.من بين تلك الامور المنتقاة:

وحدة أرض العراق..ووحدة حضارة سكانه في مبحثين رئيسين عدا عن المبحث الخاص بالهوية،وهما مبحث الارض ومبحث الحضارة.بعد أن نفرز مبحثا أولا لغرض التعريف بالهوية الوطنية التي نسعى الى تكريس حقيقتها من خلال اثبات جذرها بالتاريخي.

**المبحث الاول:الهوية الوطنية**

شكلت الهوية الوطنية هاجسا لكل القائمين على شؤون الامم باختلاف رقيها وتقدمها.فلا عجب ان نرى هنتكتون يؤلف كتابا يحمل تساؤلا خطيرا هو(من نحن)متأثرا بمخاوفه على الهوية الوطنية الاميركية..فيما كان فوكوياما قد سبقه فألف كتابا بعنوان(الصدع العظيم)للسبب ذاته..وكلا الكتابين يبحثان في الهوية الاميركية،فهل الهوية الاميركية في أزمة؟..أم أن الشعب الاميركي ضعيف الولاء الى وطنه؟.

الهوية التي هي بطاقة انتماء يحملها الانسان باعتباره عضوا في منظومة واسعة هي الشعب،اختلف الباحثون في تعريفها،إذ يراها عالم الاجتماع السوري حليم بركات جملة أسئلة،و قال(انها معرفتنا..بما،وأين،ومن نحن،ومن أين اتينا،والى أين نمضي )[٢].وهي(إشكالية ذهنية وليست واقعا ملموسا،وهي آلية من آليات الدفاع الجمعي وليس الفردي،تتحرك للعمل في حالات عدم القدرة على الفعل أو التعاطي مع الاخر بشكل طبيعي)[٣].

والهوية هي انتماء أو تعبير عن الانتماء،ولو ان البعض رأى انها(لا تتكون بمجرد النشأة والانتماء،وهما موروثان طبيعيان،بل تتكون من خلال الخلق والعمل والصيرورة)[٤]لذا فهو يراها عملية ابداعية مستمرة ومفتوحة[٥].

وطالما هي آلية دفاع جمعي،لذا نجد ان الهجمة على الهوية العراقية بلغت حدودا قصوى لتحطيم او شل تلك الالية وافراغها من محتواها الفاعل لتسهيل تشرذم العراق وتسهيل تحقيق رغبات الطامعين فيه من تحقيق مطامعهم.

وضمن عملية تحديد هوية الجتمع،وجد ميكشيللي أن من بين العناصر الاربعة المكونة للهوية(عناصر تاريخية)،وتلك العناصر تشمل:الاصول التاريخية،والاحداث التاريخية الهامة، والاثار التاريخية[٦].

فلو أننا تناولنا نقاطا منتقاة من تلك العناصر من تاريخ العراق لوجدناه وطناً قائماً منذ آلاف السنين وان سكانه يشكلون شعبا متماسكا تفصله مع الشعوب المجاورة حدود سياسية طالما سبب اجتيازها من قبل جيرانه بلا إذن حروبا شعواء،كما كان ذلك مع العيلاميين طيلة آلاف السنين،وانه كان يصدر منتجه الحضاري بما في ذلك الديني دون ان يحتاج الى استيراد شيئ من ذلك،بمعنى ان أفراد ذلك الشعب منذ تلك الالاف من السنين حَمَلَة بطاقة هوية وطنية عراقية، وسنعمل على جعل مباحث البحث تعمل تلقائيا على برهنة ذلك.

وإذا ما كان الغربيون قد عرّفوا مفهوم الامة[٧] واشتغلوا عليه منذ الثورة الفرنسية التي رأى منظروها ان ثمة عنصرين مؤثرين في المفاهيم السياسية اللاحقة لهما ارتباط عضوي بمفهوم الامة ،الا وهما الأرض واللغة،فإننا سنرى مدى انطباق ذلك على واقع الهوية الوطنية العراقية رجوعا الى الجذر التاريخي لتينك الثيمتين.

وليس من شك في إن ارثنا حافل بمصطلح الامة واشتقاقاته وتفرعاته،فإنه وإن عرف مصطلح الهوية،الا إن معناها فيه ليس كما عرفها الغرب،فالجرجاني رآها(الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق)[٨]وهو مالا علاقة له بغرضنا بينما رآها ابن رشد مصطلحا صناعيا مشتقا من هو الذي يراد به الذات الالهية[٩]،فالمفهوم المتداول الان وليد حاضنات الفكر الغربي الحديث، ما يجعلنا نعف عن البحث في مكامن تراثنا عن تفاعلات الهوية في الفكر العربي منذ نشوء الحضارة العربية الاسلامية.ومثلما لا نجد بعد جهد اثرا للهوية في المفهوم المتداول،في تراثنا كذلك لا نجد فيه اشارة الى مصطلح آخر ذي علاقة بالهوية الا وهو المواطنة..تلك الصفة السامية التي تمنح لحامل هوية وطن معين..فمن لا هوية وطنية له لا مواطنة له وهو بذلك لا يشعر بالمسؤوليات المترتبة عليه تجاه وطن يسكنه ان لم يكن يشعر بالانتماء له ويحمل هويته بصدق وشرف،كما يفترض ان لا يطالب بالحقوق التي ترتبها المواطنة للحاصلين عليها..فمصطلح المواطنة الغريب على تراثنا هو مصطلح اوربي أُجْتُرح في حقبة اجتراحهم لمصطلح الهوية وليد الحقبة التي عرف الفرنسيون ثم الاوربيون وباقي الغرب مصطلح الامة.

وحتى لانظلم تراثنا قديمه ووسيطه،فإننا وان افتقدنا المصطلح فيهما الا اننا نجد تطبيقا حقيقيا لمفهوم المواطنة في جوانب عديدة من واقع تلك الحقب..فالبابليون وقد شعروا بحيف من قبل حاكم مدينتهم الاشوري كتبوا الى امبراطور اشور في نينوى(حتى الكلب يصبح في بابل حرا طليقا)[١٠] وهم يريدون بذلك اظهار حقوق المواطن البابلي..فهم يتكلمون عن المواطنة التي عرفها الاسلام فيما بعد كشريعة ونظام حكم..إذ ان ابناء دولة الاسلام متساوون كأسنان المشط..وعليهم واجبات كما ان لهم حقوقا..وان من واجبهم الذب عن بيضة الاسلام وحياضه وحماية ثغوره (حدوده).

**المبحث الثاني:وحدة ارض العراق**

العراق بحدوده الحالية أو ما يقاربها معروف منذ آلاف السنين..فعندما يتحدث المؤرخون عن حضارة السومريين فإنهم يعتبرون هؤلاء القوم عراقيين،ويجعلون الحضارة السومرية عراقية،كما فعل الاستاذ طه باقر الذي قال(السومريون الذين رأيناهم يقومون بالدور البارز في انشاء حضارة وادي الرافدين)[١١] بينما نجد هناك من حاول جاهدا المس من الوحدة التاريخية للعراق كوطن،وخاصة من الذين لهم مصلحة في تجزئته وتفتيته،فمثلا نجد نبرة(خَلْق بريطانيا للعراق)لازمة عند كل أولئك، ولدينا مثال على بعض كتاباتهم،فهذا شيركو كرمانج وهو كاتب كردي يعمل في استراليا يقول(خَلَقَ البريطانيون العراق من ألوية بغداد والبصرة والموصل العثمانية السابقة)[١٢]. ويصر على ان حالة التباعد الاجتماعي بين مكونات تلك(الالوية–كما يصفها)هي الحال السائد حتى بعد قيام الملكية[١٣].

فالعراق بوحدته الجغرافية الحالية معروف من قديم الازمنة،حيث طاف فيه هيرودوت المؤرخ الاغريقي الذي كان جوّاب آفاق قبل الميلاد بخمسة قرون،فكتب عنه كوطن موحد عندما قال على وفق نص أورده بِفَن(من جميع البلاد التي نعرفها نرى أرض العراق أزكاها تربة وأخصبها مادة للحنطة)[١٤]..واسم حاضر في كثير من مواضع الشعر الجاهلي..ومنه شعر عنترة بن شداد الذي قصد العراق ليحصل على نياق بيض اشترط عمه تقديمها مهرا لعبلة:

**تَرى عَلِمَت عُبَيلَةُ ما أُلاقي مِنَ الأَهوالِ في أَرضِ العِراقِ**
**طَغاني بِالرِيا وَالمَكرِ عَمّي وَجارَ عَلَيَّ في طَلَبِ الصَداقِ**
**فَخُضتُ بِمُهجَتي بَحرَ المَنايا وَسِرتُ إِلى العِراقِ بِلا رِفاقِ**

ولقد وردود اسمه في الحديث الشريف[١٥] وإنه ﷺ (وقّت لأهل العراق العقيق)[١٦] ،ففي مسند أحمد ان اسم العراق كان متداولا في صدر الاسلام إذ قال ورد فيه (حدثنا سليمان بن داود أخبرنا شعبة بن محمد بن ابي نعيم يقول: شهدت ابن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن محرم قتل ذبابا،فقال:يا أهل العراق ،تسألوني عن محرم قتل ذبابا !وقد قتلتم ابن بنت رسول الله ﷺ )[١٧].ولا ينكر أحد تهديد الحجاج في خطبته الشهيرة التي خاطب بها أهل العراق (إني والله يا أهل العراق...الخ)[١٨].

وحتى نبين ان العراق كان واحدا وان قُسم الى ثلاث ولايات،نجد أن فيبي مار وهي من باحثي المركز الاميركي للسلام ولها اهتمام خاص بالشأن العراقي تقول في بحث لها بعنوان (عراق واحد أم عراقات..مالذي حدث للهوية العراقية)ان(ثمة حس بالهوية العربية الهم مجموعة من الضباط العرب–ولاسيما الضباط العراقيين–في الجيش العثماني حيث شكلوا حركة سرية مضادة للشبان

الترك)[١٩] والمقصود بالشبان الاتراك هم الضباط الاتراك العنصريون جماعة الاتحاد والترقي.وهذا دليل قوي وأكيد ان العراقيين كانوا شعبا متماسكا يسكن وطنا له كيان خاص..إذ أن ضباطه المتحمسين للهوية العربية ويناضلون الضباط الاتراك في عقر دارهم وان لم يكونوا كلهم عربا..فنوري السعيد وطبقة كبيرة من زملائه لا يتحدرون من اسر عربية، لكنهم كانوا يرفعون العروبة شعارا وينافحون عنها وعن قضايها دون ان يفصحوا عن اروماتهم الاصلية.

ولقد دخل سرجون الاكدي(٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م) مؤسس(أول دولة ساميّة واضحة المعالم سياسيا وحضاريا،**وحكومة مركزية مسيطرة فعليا على جميع مناطق وادي الرافدين تقريبا)**[٢٠] والذي يعرف انه أول من وحّد للعراق بحدوده الحالية، في حروب عديدة مع جيرانه في الشرق، العيلاميون الطامعون دائما بأرض العراق، ولأن العيلاميين هم الخطر الجاثم عبر جبال زاجروس، فإن السومريين أطلقوا اسم(كور)على العدو،(حيث تعني في الوقت نفسه كلمة جبل وكلمة شرق)[٢١].مما يعني ان جبال زاجروس كانت منذ آلاف السنين هي الحد الشرقي للعراق.

إذن فجبال زاجروس التي هي الان حده الشرقي مع ايران حاليا كانت كذلك في زمن سرجون الاكدي كما رأينا،وجبل الفضة في الشمال الذي هو جزء من جبال طوروس حده الشمالي في زماننا وذلك الزمان،بينما تحده غربا مملكة ماري التي تقع اطلالها الان في منطقة البو كمال التي هي الحد الغربي للعراق الحالي،بينما كانت ارضه تمتد حتى تصل الخليج العربي كما هي حالها الان...فهذا واقع حال ارض العراق قبل قرابة خمسة آلاف سنة مشابه لواقعه الارضي الحالي.

ولقد قام البلدانيون العرب بتوثيق حدود العراق الذي يرون ان اسمه عربي مستل من اسم عروق الاشجار أو لكونه على ساحل البحر والانهار وعنهم ما كان على الساحل فهو عراق.. ومساحة العراق وحدوده عند ياقوت الحموي تحسب على أساس عرضه(من جهة خط الاستواء أحد وثلاثون جزءاً وطولها خمسة وسبعون جزءاً وثلاثون دقيقة،وأكثر بلاده عرضا من خط الاستواء عكبران على غربي دجلة،وعرضها ثلاثة وثلاثون جزءاً وثلاثون دقيقة وذلك آخر ما يقع في الاقليم الثالث من العراق،ومن عكبرا يدخل العراق كله في الاقليم الثالث الى حلوان[٢٢]، وعرضها اربعة وثلاثون جزءاً ومقدار الربع من العراق في الاقليم الرابع دسكرة الملك وجلولاء وقصر شيرين،و أما الاكثر ففي الثالث،وأما القادسية ففي الاقليم الثالث،وطولها من المغرب تسعة وستون جزءاً وخمس وعشرون دقيقة ،وعرضها من خط الاستواء أحد وثلاثون جزءاً وخمس وأربعون دقيقة،وحلوان والعذيب جميعا في الاقليم الثالث .....أما حده فاختلف فيه،قال بعضهم: العراق هو السواد الذي حددناه في

بابه،وهو ظاهر الاشتقاق المذكور آنفاً لا معنى له غير ذلك وهو الصحيح عندي،وذهب آخرون فيما ذكر المدائني فقالوا:حده حفر أبي موسى[٢٣] من نجد وما سفل عن ذلك يقال له العراق)[٢٤].

أما السكان الذين نصطلح عليهم الان(الشعب)فإن البلدانيين العرب ينظرون اليهم على اساس كونهم مجتمع متجانس مما يتمم العناصر المكونة للوطن.يقول ياقوت واصفا سكان العراق الذي اقتبسنا آنفا توصيفه لأرضه(والعراق أعدل أرض الله هواء وأصحها مزاجا وماء فلذلك كان أهل العراق هم أهل العقول الصحيحة والاراء الراجحة والشهوات المحمودة والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة مع اعتدال الاعضاء واستواء الاخلاط وسمرة الالوان،وهم الذين انضجتهم الارحام فلم تخرجهم بين أشقر وأصهب وأبرص كالذي يعتري ارحام نساء الصقالبة في الشقرة)[٢٥].فهل بعد ذلك شك في ان ارض العراق التي نحافظ على حدودها الان هي ذاتها منذ آلاف السنين؟ .

ولما كانت الوحدة الوطنية العراقية في الازمنة القابعة في اعماق التاريخ،مهمة وضرورية عند عراقيي تلك الازمنة،فإنهم كانوا يلبسون خوذهم ويحملون سيوفهم باستمرار من أجل صيانتها والحفاظ عليها..ما جعل أغلب حروبهم خارج أراضيهم،ولعل حروبهم المزمنة مع العيلاميين والسجال القتالي الذي كانوا يديرونه في بلاد الشام أدلة على ذلك.

فعندما حاول ملكا السامرة و دمشق عقد تحالف مدعوم من قبل فرعون مصر ساركو الثاني ٨٦٠-٧٣٢ ق.م ضد الدولة الآشورية، كانت النتيجة قيام شلمنصر الثالث بمهاجمة الحلفاء في معركة القرقار ٨٣٥ ق.م[٢٦] ولم يتدخل الفرعون الذي اثبت المنقبون انه تبادل هدايا ثمينة مع اخاب ملك السامرة الذي هزم في تلك المعركة.وعندما نعلم ان هذا الملك قاد ١٢٠ الف جندي من ابناء العراق ليؤدب المتآمرين من اليهود والمتحالفين معهم سنة ٨٤٥ ق.م مجازفا بعبور الفرات بكل تلك الحشود الضخمة ،في موسم طغيانه ما يثبت انها كانت حروبا وطنية شارك فيها كل الشعب من أجل كبح جماح أي تآمر على وحدته الوطنية.

**المبحث الثاني:الحضارة**

يشير واقع البلاد ومنذ حقب موغلة في القدم، الى ان الشعب كان يتداول اللغة السومرية والحضارة السومرية التي انطلقت من جنوب العراق،وانهما كانتا السائدتين في عموم البلاد على الرغم من اختلاف اورومات سكان العراق وقتذاك وان اغلبهم ليسوا من عرق السومريين فسكان وسط العراق وجنوبه ساميون..الا ان الثقافة السومرية ظلت الطابع المميز لسكان البلاد..وان الباحث لا يجد تأثيرات لغوية عيلامية في النسيج المجتمعي العراقي..كما ان العيلاميين لم يحفلوا كثيرا بالثقافة السائدة في العراق..مما يجعلنا نحس بالخصوصية العراقية.

فلقد بدت ملحمة كلكامش السومرية التي كانت ترددها الالسن في وسط العراق وجنوبه وشماله كنشيد وطني يعرفه كل السكان،ومن لا يجيد اللغة السومرية فإنه كان يجدها مترجمة بلسانه.. فعندما تعددت الالسن ظلت تلك القصيدة الملحمية الجنوبية رمزاً ثقافياً عراقياً تكتب باللغات التي سادت حضارات ناطقيها في وسط وشمال العراق ..وكما كانت ملحمة كلكامش السومرية رمزا ثقافيا،فإنها سجل حافل بالصور التي تضع حقائق المجتمع العراقي بكامله امام الباحثين والمثقفين،فهي ليست حافظة لصور سومرية فحسب وانما عراقية عامة كما نجد ذلك في كتاب لأفضل من درسوا الملحمة انه الراحل طه باقر الذي قال(الملحمة على جانب كبير من الاهمية في تصويرها تصويرا مؤثرا جوانب مهمة من حضارة وادي الرافدين،فهي لدارس هذه الحضارة منجم زاخر لاستقاء أوجه ومقومات اساسية عن احوال العراق القديم)[٢٧].مما يعني انها ليست خاصة بجزء من العراق ولا بإثنية معينة من سكانه.

وإذا ما رأينا وطنية ملحمة كلكامش وكونها حافظة لصور عن عموم المجتمع العراقي وقت نظمها،فإن وثيقة أخرى لا تقل أهمية عن الملحمة نبعت من واقع عراقي شامل،انها شريعة حمورابي،فهي ليست من بنات افكار حمورابي ومستشاريه،وانما استندت إلى مصادر عراقية قديمة من مختلف أنحاء العراق فإن(المصادر المباشرة لشريعة حمورابي هي القوانين التي سبقت ظهور تلك الشريعة)[٢٨]..ومن تلك المصادر:

١-إصلاحات أوروكاجينا:فهذا المصلح الذي ارتقى الى عرش لكش(السلالة الاولى) حظي بمكانة سامقة عبر التاريخ كونه المصلح الاول،التاريخ المتيسر للائحة اصلاحاته هو ٢٣٥٥ ق.م..ولكش هي مملكة سومرية كانت حاضرتها قرب قضاء الدواية في محافظة ميسان الحالية.

٢-قانون أورنمو:وهو قانون من ٣١ مادة وضعه أورنمو ملك أور(السلالة الثالثة)بحدود سنة ٢٠٤٠ ق.م.

٣-قانون لبت عشتار:وهو من ملوك آيسن التي كانت قائمة في محافظة الديوانية وتحديدا جنوب نفر بـ٣٥ كلم.وضع لبت عشتار قانونه بحدود ١٩٣٠ ق.م

٤-قانون اشنونا:ودولة اشنونا كانت قائمة في محافظة ديالى الحالية.

هذا التباين بين المصادر القادمة من أماكن متباعدة(قياسا لواقع ذلك الزمان)جعلتنا ننظر الى قانون حمورابي انه قانون وطني عراقي يشمل الاحوال الاجتماعية لعموم سكان العراق بحدوده الحالية..مع ملاحظة ان مصادره عراقية صرفة وليس فيه مصدر اجنبي..ليس لأن الدول الاخرى لم تشرع قوانين قبل قوانين العراقيين القدماء فحسب بل لأن الاحوال الاجتماعية وطبيعة الحضارة في العراق تختلف عن كل الدول حتى القريبة منه..وتلك خصوصية وطنية قادنا اليها قانون حمورابي.

ولا بد من التعريج على الرموز الحضارية العراقية القديمة التي صارت فيما بعد نهبا للاخرين الذين انتحلوها وصيّروها رموزا لهم..فالنجمة السداسية التي ننظر اليها باشمئزاز كونها شعارا انتحله الكيان الصهيوني، انما هي رمز الالهة اينانا..وحتى نبين طبيعة التأثير العراقي الحضاري على الاخرين،فإن اينانا السومرية صارت عشتار عند الساميين وأفروديت عند الاغريق وفينوس عند اللرومان..

لذا فالعراقيون لم يستوردوا العبادات ولا مظاهر الحضارة من الدول المجاورة(عيلام مثلا) وانما كانت العلاقات بينهما تمتاز بالندية التي شهدت أطول الحروب عبر التاريخ إذ تمددت على مدى آلاف السني..

ولعل من دلائل قدم تاريخ الوحدة الوطنية العراقية هو أن العراقيين القدماء كانوا يعرفون تفاصيل تاريخ بلادهم إذ نجد ان ملكين من ملوك الاشوريين أحبوا سرجون الاكدي على الرغم من الاختلاف اللغوي بين الاشوريين والاكديين فسمى كل منهم نفسه سرجون،الاول ملك بين سنتي ١٩٢٠ -١٨٨١ ق.م والثاني حكم بين سنتي ٧٢١-٧٠٥ ق.م.

وعلى ذكر تأثر العراقيين بالتاريخ القديم نجد ان نبوبولاصر أول ملوك الدولة البابلية الحديثة سمى ابنه البكر نبوخذنصر الذي حكم بعده بين سنتي ٦٠٥-٥٦٢ ق.م على اسم ملك بابلي قديم من أرومة أخرى حكم بابل بين سنتي ١١٢٥-١١٠٣ ق.م .

ولعل تشابه اسماء الملوك ينبئ بتشابه الديانات التي كان العراقيون القدماء يعتنقونها والالهة التي كانوا يتولون عبادتها..فنابو هو نفسه اله الحكمة البابلي يقدسه الاشوريون،والاله سين الذي كان

معبده الرئيس في حران نجد ان له معبدا في أور وان سرجون الاكدي يعين ابنته كاهنة له..وان نبوخذ نصر الذي يدين بالعبادة لمردوخ رمم معبد الاله سين في الجنوب ..وان آخر ملوك بابل ابن كاهنة معبد في حرّان.

**الخاتمة**

منذ اكثر من أربعة آلاف سنة وحدود العراق السياسية هي الحدود التي ندافع عنها ذاتها،مما يعني ان وحدة وطنية عراقية كانت متحققة منذ تلك الازمان الموغلة في القدم..وان المنجز الحضاري لسكان الرافدين كان يساهم دائما في تعزيز تلك الوحدة،فملحمة كلكامش ليست ابداعا فكريا سومريا وحسب وانما هي ملحمة عراقية كان كل العراقيين يحبونها في كل حقب التاريخ القديم للوطن..وان شريعة حمورابي البابلية لم تكن بابلية صرفة بل هي عراقية كونها ركنت الى مصادر اقدم منها جمعت من انحاء متفرقة من العراق..

تلك الوحدة الوطنية والهوية المنبثقة عنها ما صمدت آلاف السنين ضد اعداء اشداء استهدفوهما بشدة الا بخوض حروب مدمرة ولعل معركة القرقار ٨٣٥ ق.م ومعركة سنة ٨٤٥ ق.م التي شنهما الاشوريون في بلاد الشام من اجل الحفاظ على هذه الثوابت دليل على ذلك..فكيف يجوز لنا ان نفرط بكل هذا الارث العظيم الذي تعتز الامم الاخرى بما ورثت من مثله؟.

**التوصيات**

١-تكريس درس الوحدة الوطنية والمواطنة في عموم المناهج الدراسية مع التركيز على القيمة المعنوية العالية للهوية الوطنية.من خلال ابراز الشواهد التاريخية الدالة على تلك الوحدة وتلك الهوية في المناهج لترسيخها في اذهان الطلاب.

٢-قيام وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بعقد مؤتمر أكاديمي سنوي عن الهوية والمواطنة ويتم اختيار احدى الجامعات لعقده كل سنة بشكل دوري.

٣-الزام الاقسام المختصة باعداد عناوين لرسائل ماجستير وأطاريح دكتوراه عن المواطنة والهوية.

٤-استحداث جائزة وطنية سنوية لبحوث مستمدة من مفاهيم المواطنة والوحدة الوطنية والهوية الوطنية.

٥-تشريع مواد قانونية تدعم ترسيخ الوحدة الوطنية والهوية الوطنية في الاذهان وتعاقب من يسخر منهما او يسيئ اليهما كونهما من بين الثوابت الوطنية المطلوب حمايتها دائما.

**مراجع البحث**

ابن الاثير :عز الدين(٦٣٠ هـ)الكامل في التاريخ،دار صادر ،بيروت ١٩٦٦،ج٤

ابن بابويه:علي القمي،فقه الرضا،تحقيق مؤسسة آل البيت ،قم،١٤٠٦ هـ

ابن حنبل:الامام أحمد بن محمد(ت ٢٤١ هـ)،المسند،شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر، من الحديث ٥٢٦٩- ٦٤١٣ ،دار الحديث،القاهرة ١٩٩٥،

أبو طالب:عماد عبد العظيم،تاريخ العراق القديم،مصر العربية للنشر والتوزيع،القاهرة ٢٠١٥

بارام:أماتيزيا وآخرون(مجموعة محررين)،صراع الهويات في العراق،ترجمة مصطفى نعمان أحمد،دار ميزوبيتوميا،بغداد ٢٠١٧

باقر :طه،ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط٦-٢٠٠٢

بركات:حليم،المجتمع العربي في القرن العشرين:بحث في تغير الاوال والعلاقات،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ٢٠٠٠

بِقَن:أدون،أرض النهرين،ترجمة الاب انستاس ماري الكرملي،مطبعة المعارف،بغداد ١٩٦١

الجرجاني:ابو الحسن علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ)التعريفات،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،بلا،

الحمداني:شعيب أحمد،قانون حمورابي،جامعة بغداد،بيت الحكمة ،بغداد،١٩٨٧

رشيد :فوزي،سرجون الاكدي:أول امبراطور في العالم،وزارة الثقافة والاعلام،بغداد،١٩٩٠

شعبان:عبد الحسين،الهوية والمواطنة :البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ٢٠١٧

عيسى:حسن عبيد،التآمر اليهودي على بلاد الرافدين حتى سقوط بابل ٥٣٩ ق.م،بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢

قاسم:رياض زكي(محرر) ،الهوية وقضايا ها في الوعي العربي المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،٢٠١٣

كرمانج:شيركو،الهوية والامة في العراق،ترجمة عوف عبد الرحمن عبد الله،دار الساقي،بيروت بالاشتراك مع دار آراس،أربيل، ٢٠١٥

مراد:طارق سامي،اشكالية الهوية الوطنية بين الماضي والحاضر ،منتدى العارف ،بيروت ٢٠١٧

المغلوث:سامي بن عبد الله بن أحمد،أطلس الحج والعمرة تاريخا وفقها ،العبيكان للنشر،مكة المكرمة،ط٢-٢٠١٤
ميكشيللي:أليكس،الهوية،ترجمة علي وطفة،دار الوسيم للخدمات الطبعية،دمشق ١٩٩٣
وهبة:مراد،المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة،ط٥-٢٠٠٧
ياقوت:شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت٦٢٦ هـ)معجم البلدان،دار صادر، ودار بيروت،بيروت ١٩٧٩ج٤
موقع وكالة نون الالكتروني ليوم ٢٠١٠/٥/١٨ http://www.non14.net/8889

الهوامش

[١] موقع وكالة نون الالكتروني ليوم ٢٠١٠/٥/١٨ http://www.non14.net/8889/ تاريخ المشاهدة ٥ آذار ٢٠١٩

[٢] بركات:حليم،المجتمع العربي في القرن العشرين:بحث في تغير الاوال والعلاقات،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ٢٠٠٠،ص٦٢

[٣] مراد:طارق سامي،اشكالية الهوية الوطنية بين الماضي والحاضر،منتدى العارف ،بيروت ٢٠١٧،ص٤٧

[٤] شعبان:عبد الحسين،الهوية والمواطنة :البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٧ص٢١

[٥] ظ:م.ن،ص٢١

[٦] ظ:ميكشيللي:أليكس،الهوية،ترجمة علي وطفة،دار الوسيم للخدمات الطبعية،دمشق ١٩٩٣ص١٩

[٧] مفهوم الامة قديم عند العرب ففي القرآن الكريم تكرر ذكر أمة في ١٠ مرات،ووردت بصيغة الجمع(أمم)١٣ مرة،ووردت منسوبة الى المسلمين مرتين(أمتكم).وبذا فإنها تكررت في القرآن الكريم ٢٥ مرة.

[٨] الجرجاني:ابو الحسن علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ)التعريفات،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،بلا، ص١٤٠.**ولقد لفت انتباهنا ان الباحث عفيف البوني نقل في بحثه (في الهوية القومية العربية)تعريف الجرجاني للهوية على انها (الأمر المتعقل من حيث امتيازه على الاغيار)**

**دون ان يرشدنا الى المصدر الذي استقى منه هذا التعريف..ظ:قاسم:رياض زكي(محرر) ،الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،٢٠١٣**

[٩] وهبة:مراد،المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع -القاهرة،ط٥-٢٠٠٧ص٦٦٧ (مادة: هوية)

[١٠] عيسى:حسن عبيد،التآمر اليهودي على بلاد الرافدين حتى سقوط بابل ٥٣٩ ق.م،بيت الحكمة،بغداد، ٢٠٠٢، ص١٤١

[١١] باقر:طه،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة :الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين،دار الشؤون الثقافية العامة :ط٢-١٩٨٦،ص٣٥٤

[١٢] كرمانج:شيركو،الهوية والامة في العراق،ترجمة عوف عبد الرحمن عبد الله،دار الساقي،بيروت بالاشتراك مع دار آراس،أربيل، ٢٠١٥، ص٢٠.وما يجدر الاشارة اليه هنا ان مصطلح الالوية لم يكن يطلق على تلك المدن وانما هي ولايات.

[١٣] ظ.م.ن،ص٢١

[١٤] بِڤن:أدِن،أرض النهرين،ترجمة الاب انستاس ماري الكرملي،مطبعة المعارف،بغداد ١٩٦١،ص٢٠

[١٥] استجدت حملة في الاوتنة الاخيرة لتكذيب حديث اللهم بارك لنا في يمننا وحجازنا كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجاب عراقيا سأله وعراقنا يا رسول الله..فمدح النبي اهل العراق..لم يقف اصحاب تلك الحملة عند تكذيب الحديث بل افتروا على رسول الله عندما قال في حديث آخر واصفا نجدا بان منها يطلع قرن الشيطان على الرغم من انه ﷺ سمى نجدا باسمها الذي يعرفه أهل زمانه كما نعرفه نحن،واشار صوب الشرق فقالوا انما قصد العراق لأنه ينجد عن الحجاز أي يرتفع ..فلا هو مرتفع كونه منحدر نحو البحر فينخفض عن كل ما هو حوله ولا هو شرق الحجاز..ولم يبق غير ان النبي قصد نجدا التي هي شرق الحجاز وهي نشز من الارض كونها هضبة مرتفعة..فلاحظوا كيف يحاول البعض استلاب فضائل العراق وابدالها شرورا.

[١٦] ابن بابويه:علي القمي،فقه الرضا،تحقيق مؤسسة آل البيت ،قم،١٤٠٦ هـ،ص٢١٥(باب الحج)

[١٧] ابن حنبل:الامام أحمد بن محمد(ت ٢٤١ هـ)،المسند،شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر،من الحديث ٥٢٦٩- ٦٤١٣ ،دار الحديث،القاهرة ١٩٩٥،ص٥٥٧(الحديث ٦٤٠٦)

[١٨] ابن الاثير:عز الدين(٦٣٠ هـ)الكامل في التاريخ،دار صادر،بيروت ١٩٦٦،ج٤ ص٣٧٤

[١٩] بارام:أماتيزيا وآخرون(مجموعة محررين)،صراع الهويات في العراق،ترجمة مصطفى نعمان أحمد،دار ميزوبيتوميا،بغداد ٢٠١٧،ص٢٩

[٢٠] أبو طالب:عماد عبد العظيم،تاريخ العراق القديم،مصر العربية للنشر والتوزيع،القاهرة ٢٠١٥،ص١٠٩

[٢١] رشيد:فوزي،سرجون الاكدي:أول امبراطور في العالم،وزارة الثقافة والاعلام،بغداد، ١٩٩٠ص٧٦

[٢٢] حلوان هي مدينة سربيل زهاب

[٢٣] حفر ابي موسى: (ركايا أحفرها ابو موسى الاشعري على جادة البصرة الى مكة)المغلوث:سامي بن عبد الله بن أحمد،أطلس الحج والعمرة تاريخا وفقها ،العبيكان للنشر،مكة المكرمة،ط٢-٢٠١٤،ص١٠٥.ركايا يعني آبار.

[٢٤] ياقوت:شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت٦٢٦ هـ)معجم البلدان،دار صادر،ودار بيروت، بيروت ١٩٧٩ج٤ ص٩٤-٩٥(مادة عراق)

[٢٥] ياقوت،م.س،ص٩٥

٢٤ نفضل تسميتها القرقار الاولى حيث خاض سرجون الثاني معركة في نفس المنطقة عام ٧٢٠ ق.م يمكن تسميتها القرقار الثانية.

[٢٧] باقر:طه،ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط٦-٢٠٠٢،ص٤٥

[٢٨] الحمداني:شعيب أحمد،قانون حمورابي،جامعة بغداد،بيت الحكمة ،بغداد،١٩٨٧،ص١٢